مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11/ العدد: 02 (2023)، ص: 212-230

الرواية المغاربية من التأسيس الى التجسيد الفكري

The Maghreb novel from foundation to intellectual embodiment

عريبي سعاد[1]، أ/د عبيد عبد الرزاق[2]

[1] جامعة الجزائر 02 (الجزائر)، souad.aribi@univ-alger2.dz

[2] جامعة الجزائر 02 (الجزائر)، abderrazak.abid@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/04/26 تاريخ القبول: 2023/06/21 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص:

لقد رصدت الحركة النقدية نماذج وعناوين روائية عديدة استحوذت عل الإنتاج الروائي في كل من الجزائر وتونس والمغرب وليبيا وحتى موريتانيا ، وفرضت هيمنتها الإنتاجية علي الساحة الأدبية من خلال نصوص روائية مغاربية متميزة بخصوصيتها النموذجية العاكسة لهوية و تراث و أصالة وحضارة بلدان المغرب العربي والمنبعثة من تاريخها العريق ، من خلال خلق أفق حداثي مغاير لما هو سائد، بغية تحقيق نموذج روائي مختلف من حيث المتن الحكائي و النسق الدلالي ، وذلك بالنزوح إلى التراث والبحث فيه عما يمكن أن يستوعب إشكاليات الراهن وتساؤلات الحاضر ، و أيضا من خلال مسألة التاريخ و استنطاقه بصورة جمالية وفنية مختلفة عما هو سائد ، بهدف إحياء الهوية الثقافية و ترسيخ الانتماء الحضاري ، في ظل تفاقم تحديات المعاصرة وخيبات العولمة ، بغية التحرر من سيطرة الأخر و استحواذه الفكري وتكتله الثقافي ، وهذا ما يعلل تصدر نماذج عديدة لعناوين إبداعية مغاربية الصدارة ، و حصولها على جوائز عالمية مختلفة تعكس مدى اهتمام كتاب الرواية المغاربية المعاصرين بالإنتاج الروائي .

كلمات مفتاحية: التأسيس، التجسيد، الرواية، المغاربية، الفكر، المرجعية، التراث

Abstract :The critical movement has monitored many fictional models and titles that have captured the fictional production in each of Algeria, Tunisia, Morocco, Libya and Mauritania, and imposed its productive dominance on the literary scene through the creation of a distinct Maghreb fictional text that possesses its exemplary specificity that reflects its identity، heritage and civilized authenticity emanating from its history . By creating a modern horizon different from what is prevailing , in order to achieve a different fictional model in terms of the narrative body and the semantic pattern , by moving to the heritage and searching in it for what can accommodate the problems of the present and the questions of the present , in an aesthetic and artistic way different from what is prevailing with the aim of reviving cultural identity and The consolidation of civilizational belonging in light of the exacerbation of contemporary challenges and the disappointments of globalization , in order to liberate oneself from the control of the other And his intellectual possession and cultural agglomeration , and this is what explains the release of many models of innovative Maghreb titles, which have obtained various international awards that reflect the interest of contemporary Maghreb novel writers in novel production **.**

Keywords: Foundation, embodiment, novel, Maghrebian, thought, reference, heritage

المؤلف المرسل: سعاد عريبي

الرواية المغاربية من التأسيس الى التجسيد الفكري

لقد تمكنت الرواية المغاربية بالرغم من نشأتها المتأخرة نسبيا بأن تثبت وجودها في كونها نسقا فكريا قائما على استراتيجية نصية ، ومادة حكائية مؤسسة على مرجعية تراثية وفكرية وثقافية متنوعة ، مُشكلة خطابا متميزا له خصوصياته الإبداعية و الجمالية يعد حصيلة التطوّر الملحوظ و المشهود لها منذ أواسط الخمسينيات من القرن العشرين الي يومنا هذا، في كل من الجزائر ،تونس ،المغرب ، ليبيا، موريتانيا ، وما التراكم الكمّي و النوعي المتميز الذي رصدته الحركة النقدية المعاصرة للرواية المغاربية ، إلا دليلا و تأكيدا انفتاحها على مختلف المجالات المعرفية والميادين الفكرية والعلمية والتاريخية ، وهذا ما انعكس إيجابيا على المتن الروائي بإسقاطه لمقولة التفرد وإحلال محلّها مقولة التعدد بمختلف أشكاله، فأنتجت بذلك نصوصا روائية مغاربية ذات مضامين فنية متعددة الأشكال و الأنماط ، و الدلالات ،و ذات لهجات محلية وخطابات متنوعة وأساليب كلامية وتعبيرية وثقافية متباينة ،مشكلة بذلك مزيجا لغويا وفكريا يمتاز بالتناقض والتعايش في الوقت نفسه ، قائم على التنوع الحكائي و التميز الفني، والتعدد اللغوي من مختلف المنظورات ،و الفضاءات والثيمات وغيرها من الخصائص التي أصبحت مميزة لها ، و التي أوصلت الإبداع الروائي المغاربي الي العالمية على مختلف الأصعدة فكيف تجسدت الرواية المغاربية وتشكلت ضمن مسار العالمية ؟

.إن مصطلح الرواية المغاربية مصطلح شاع استعماله وفق منظور فكري لم ينل جدلا أو اهتماما فكريا كبيرا، رغم ذلك هناك من يري أن الفضل في التعريف بمصطلح الرواية المغاربية يرجع إلى الروائي والباحث "عبد الكبير الخطيبي"، في ذلك يقول "أحمد المديني" (أحمد المدني2012 ص21) "إن الخطيبي هو أول من أسس الرواية المغاربية وأهلها لأن تصبح مرجعاً أدبيا في المحافل الأكاديمية، وذلك في إطار مناقشته لأطروحته الدكتوراه. وعن هذا

الموضوع يري الخطيبي أن الفضل يرجع إلى الكتّاب ذوي التعبير الفرنسي في دمج الرواية داخل الثقافة المغاربية " ، وعلي عموم الحال و بغض النظر عن مرجعية مصطلح الرواية المغاربية في المغرب العربي باعتباره إضافة مصطلحية تاريخنية متصلة بالثقافة المغاربية و بالأوضاع السوسيوسياسية التي عاشتها منطقة المغرب العربي من 1945 الي 1962 من منظور عبد الكبير الخطيبي -،و ذلك من خلال ما كُتب عن تلك المرحلة من نصوص روائية باللغة الفرنسية، تلك النصوص التي أخرجت الثقافة التي كانت متحجرة من الداخل ومحاصرة من الخارج بواسطة الاستعمار أنداك (محمد مريني 2009 ص 45) ، و المعبرة سياسيا وثقافيا واجتماعيا عن الهوية و الانتماء الثقافي لهذه البلدان ، فقد عرف هذا المصطلح - الرواية المغاربية - استعمالا واسعا في الدراسات النقدية و الإبداعية ، بل و أصبح متداولا في الساحة الثقافية كمرادف للرواية المشرقية وفق جدلية سلطان المركز و انشغالات المحيط(واسيني الاعرج 2005/2004 ص02) ، نظراً لاكتساح الأدباء المغاربة الساحة الإبداعية من بابها الواسع و وصولهم الي العالمية والتميز ، فهناك أسماء روائية مغاربية نالت شهرة عالمية وترجمت أعمالهم لعدة لغات ، و أيضا جسدت في مسرحيات وأفلام سينمائية و تلفزيونية ، من هؤلاء نذكر علي سبيل المثال: إبراهيم الكوني، عبد الواحد براهم ،واسيني الأعرج ، ياسمنة خضرة، محمد شكري ، بن سالم حميش، أحلام مستغانمي، مبارك الربيع ، الطاهر وطار ، محمد ساري ، محمد برادة ، موسي ولد بنو ،كمال الرياحي ، إبراهيم الدرغوثي ، محمد بوطرشونة ، رشيد بوجدرة .....

أطوار نضج الرواية المغاربية

عموما فالخطاب الروائي المغاربي بشكل خاص لم يتأسس من العدم، وإنما هو حصيلة أطوار ومراحل وتحولات اجتازتها الرواية على مختلف الاصعدة لتتشكل بصورتها الفنية الحداثية التي هي عليها اليوم. ففي بدايتها الأولي كانت

عبارة عن أشكال تعبيرية شبه روائية، يغلب علي معظمها سرد قصصي ذي طابع تاريخي سواء في تونس أو الجزائر والمغرب وليبيا وموريتانيا ،و تعد فترة السبعينات من القرن العشرين نقطة انعطاف في مسار الرواية المغاربية بإجماع النقاد " حيث أخدت ملامح هذا النمط التجريبي في الكتابة الروائية – في المغرب العربي – تتشكل مع منتصف السبعينات وتتبلور أكثر منذ مطلع الثمانينات مع جيل جديد من الكتاب كان يسكنه هاجس البحث عن أشكال فنية جديدة في الممارسة الروائية تكون قادرة علي التعبير عن إشكاليات المرحلة التاريخية التي كانت تمر بها بلدان المغرب العربي .....وتحقق - في الآن ذاته – تجاوز المرحلة التقليدية التي يمثلها جيل الرواد " (بوشوشة بن جمعة 1999ص365-366).

ففي المغرب نذكر على سبيل المثال: "الرحلة المراكشية 1924" لإبن المؤقت، و "الزاوية 1942 " لتهامي الوزاني ،"غادة أصيلا 1949 " و"الملكة الكاهنة 1949" و "شقراء الريف 1950 " لعبد العزيز بن عبد الله، "وخلف القضبان 1950" و"صراع في ظلال الأطلس 1954 " لعبد المجيد بن جلون. و"الملكة خناثة 1954" لآمنة اللوة الحائزة علي جائزة المغرب للأدب سنة 1954. لتكون سنه 1957 الانطلاقة الفعلية للرواية المغربية من خلال رواية "في الطفولة " لعبد المجيد بن جلون، وتستمر النهضة الروائية الي " أواسط السبعينيات بظهور جيل جديد " محمد عز الدين التازي والميلودي شغموم وأحمد المديني" وهم من الكتّاب الذين تولّد لديهم نزوع نحو التجديد وتجاوز الرواية العربية الواقعية التي أقام صرحها نجيب محفوظ بإمتياز" (سعيد يقطين 2012 ص07) فكان " الثائر المهزوم"1968 "لأحمد عبد السلام البوعياشي"، "المعلم علي1970" لعبد الكريم غلاب ، " المرأة و الوردة 1972 "لمحمد زفزاف ، رواية " المعركة الكبرى 1978 "لمحمد أحمد اشماعو" ، " رحيل البحر 1983 " محمد عز الدين التازي "، و أيضا "لعبة النسيان 1987" لمحمد برادة "و نماذج أخري ،

لتشهد الرواية المغربية بعد ذلك قفزة نوعية وكمية مع بداية الألفية الثالثة وفق إصدارات روائية تتميز في أغلبها بالعودة الي التراث واستدعاء التاريخ بكل أشكاله الراسخة والمغيبة عن الذاكرة الجماعية ، و من الأسماء المعاصرة للرواية المغربية نذكر علي سبيل المثال لا الحصر: أحمد توفيق ، محمد الأشعري عبد العزيز الراشدي ، الزهرة رميج ،البشير الدامون ، فتيحة مرشيد، بنسالم حميش وغيرهم .

أما الرواية الجزائرية فقد عرفت هي الأخرى بدايات متأخرة- الرواية المكتوبة باللغة العربية - مقارنة بالرواية المغربية من خلال نماذج معدودة منها: "الطالب المنكوب1951" لعبد المجيد الشافعي، و"الحريق 1957" لنور الدين بوجدرة ، وتعد "غادة أم القري" لأحمد رضا النموذج التأسيسي للكتابة السردية الجزائرية ،فعن هذا يقول "أحمد منور " في مقدمة الطبعة الثانية لغادة أم القري (أحمد رضا حوحو 1988 ص02): " ونعتقد أنه - أحمد رضا حوحو- كتب غادة أم القري في بداية الأربعينات ، وربما قبل ذلك بالاستناد الي المقدمة التي كتبها له السيد أحمد بوشناق المدني و المؤرخ في 1362/12/21من التاريخ الهجري، وهو ما يقابل حسب تقديرنا 20 يناير 1943م " أما عن تصنيفها من حيت هي قصة أم رواية يري" أحمد منور" أنه" يفضل أن يترك هذا الحكم للدارسين و القراء، ولكنه أشار الي أنه في حالة اعتبار هذا العمل رواية فإن ذلك سيشهد علي ميلاد الرواية الجزائرية في الأربعينات " (أحمد رضا حوحو 1988 ص02) في حين حسم "واسيني الأعرج" الجدل واعتبر -غادة أم القري -أول عمل روائي مكتوب بالعربية في الجزائر، وقال عنها "إنها ظهرت تعبيرا عن تبلور الوعي الجماهيري بالرغم من أفاقها المحدودة " (واسيني الاعرج 1986 ص18)، دون أن ننسي "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لمحمد بن إبراهيم ، ويقال أنها ألفت سنة 1845 وظلت مخطوطا، إلى أن تم اكتشافها في المكتبة الوطنية الجزائرية، من طرف المؤرخ" أبو

القاسم سعد الله"، حيث عثر عليها مخطوطة وأعلنها تحقيقا مكتوبا، من جنس الرواية نشرت سنة 1977 ، وعلى العموم و وفق ما أقر به النقاد فإن فترة السبعينات من القرن العشرين قد شهدت زخما أدبيا ، وخاصة من حيث الرواية المكتوبة باللغة العربية ، لكونها تعد " الفترة التي تكثف فيها الإنتاج باللغة العربية و كانت تأسيسا سمح بظهور و تكوين كوكبة من الأدباء أصبحت لهم مكانة محترمة" (مخلوف عامر 2000ص 11)، أمثال عبد الحميد بن هدوقة ، الطاهر وطار، محمد مفلاح ، رشيد بوجدرة ، لحبيب السايح ، جيلالي خلاص واسيني الأعرج ، أحلام مستغانمي ، و أسماء عديدة تحررت من قيود التقليد معلنة انفتاحها علي التجريب بكل تجلياته الإبداعية و تحولاته الفكرية ، محققة بذلك نجاحا بارزا من خلال المنجز الروائي ، فلقد ولدت الرواية الجزائرية في سياق تاريخي حرج بتحولاته ومساراته المتأزمة، نتيجة لتداعيات الاحتلال الفرنسي، وما تركه من انعكاسات علي مختلف الأصعدة ، مازالت تأثيراتها متجسدة الى يومنا هذا ، الأمر الذي يفسر وجود تحولات طارئة على الرواية الجزائرية من حيث الشكل و المضمون و الأهداف " فقد كان الإبداع الروائي الجزائري المكتوب بالعربية دوما وليد تحولات الواقع الجزائري زمن الاستقلال: منه يستمد أسئلة متنه الحكائي ، وبسببه يبحث عن الأشكال والأبنية الفنية القادرة على استيعاب إشكالياته المستجدّة وصياغة المواقف الفكرية والإيديولوجية إزاءها " (بوشوشة بن جمعة 2000 ص08) ،وبالرغم من كون الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية حديثة النشأة مقارنة بنظيرتها المكتوبة بالفرنسية، ومقارنة أيضا بالرواية العربية عموما، إلا أنها تمكنت وخلال فترة وجيزة من أن تحظى بملامح الظاهرة الأدبية المميزة لها " كاستيعاب إشكاليات المرحلة التاريخية الحديثة والمعاصرة لجزائر الاستقلال" (بوشوشة بن جمعة 2000 ص07)، وهو الأمر الذي جعلها تستقطب اهتمام الدارسين والقراء من ناحية، و تتموقع بثبات في حيز الانتاج الأدبي في

الوطن العربي من ناحية أخرى. بل ولقد تمكنت "في زمن وجيز إذا ما قيس ببلدان عربية أخرى لم تتعرض مقاوماتها إلى الفتك والتدمير والتشويه، أن تستدرك نقصا كميا و ثيميا ولغويا مهولا، وتجاوزت الرواية كل النقائص التي لحقت بها وهزت كيانها. بل أصبحت جزءا من الرواية العربية بامتياز من خلال أهم تجاربها. هل مرد ذلك فقط المواهب الفردية للمبدعين الجزائريين أم أن هناك إرثا خفيا يأتي من بعيد بدأ يتحول مع الزمن إلى مادة مخيالية تنسج في لا وعي الكاتب كيانا روائيا متميزا " (واسيني الاعرج 200è ص06). وهو كذلك من منطلق أن الروائيين الجزائريين ليسوا خريجي المدارس و الجامعات بل إنهم اكتسبوا الموهبة الفردية لارتباطهم الوثيق بواقع الحياة في أبسط صورها و أعقد تجلياتها ، فجاء إنتاجهم الروائي صورة صادقة معبرة عن أحاسيس الإنسان الجزائري و انفعالاته و معاناته و انشغالاته بقضاياه الاجتماعية ، وأزماته المعيشية على مختلف المجالات و الأصعدة المصيرية ،والاعتراف بما يختلج الذات من هواجس و تطلعات في انتظار ذلك الأفق الجمالي المتجسد في أفق انتظار القارئ كما يتجلى ذلك في روايات واسيني الأعرج ، و ابراهيم سعدي ، و محمد مفلاح و غيرهم .

أماعن الرواية التونسية فيذكر النقاد (سعيد فرحات 1981 ص44) بعض العناوين هناك من اعتبرها محاولات تأسيسية لكونها تتسم بالطابع الوعظي الإرشادي منها" الهيفاء وسراج الليل " لصالح السويسي القيرواني، و"الساحرة التونسية لمحمد الصالح الرزقي" ، ويري "بوشوشة بن جمعة " أن الرواية التونسية لها بدايتان :" البداية الأولي تتحدد زمنيا مع نهاية الثلاثينات ومطلع الأربعينات من القرن العشرين وتمثل هذه البداية في أعمال "محمود المسعدي" ، فقد ظهرت رواية " حدث أبو هريرة قال" خلال هذه المرحلة ولكنها لم تنشر في شكل رواية إلا في سنة 1973، وكذلك "مولد النسيان " و لم تنشر هي الآخري الى غاية سنة 1974، أما البداية الثانية للرواية التونسية فهي نهاية

الستينات وتجسدها رواية "الدقلة في عراجينها" للبشير خريف والذي يعد أبو الرواية التونسية " (بوشوشة بن جمعة 1999ص23).أما "محمود طرشونة" فيري في معرض قوله عن نشأة الرواية التونسية : "نعتقد أن الرواية في تونس قد شقّت طريقها بمعزل عن الرواية الغربية وتجاربها الحديثة باستثناء بعض النماذج. إنّها تأسست في الخمسينات فاستلهمت أحداث الماضي، ثم أخذت شيئا فشيئا تتدرج نحو الواقع الراهن وتتكيف بحسب شخوصه وقضاياه، منكمشة على نفسها غير متفتحة حتى على الرواية المشرقية إلا نادرا "(مجموعة من الباحثين 1993 ص10) ورغم هذا الجدل القائم حول النشأة و التأسيس، إلا أن الرواية التونسية قد أثبتت حضورها بنماذج إبداعية تحررت هي الأخرى بجرأتها الفنية من قيود التقليد و التبعية، من خلال التمسك بالتراث بكل مظاهره وكشف المناطق المحرمة وتعرية المسكوت عنه و قول ما لا يسمح قوله .

أما بخصوص الرواية الليبية (بشير الهاشمي 1984 ص23) فيجدر بنا أن نشير الى قلة الدراسات النقدية المهتمة بها و مرجع ذلك لعدة أسباب منها حداثة عهدها مقارنة بالرواية في كل من المغرب والجزائر والتونس ،بالإضافة الى الأوضاع السياسية اللامستقرة التي تعشها ليبيا الى يومنا هذا ،و رغم ذلك فقد أختلف النقاد في مسألة تحديد نشأتها ، فهناك من يري أن أول رواية ليبية هي رواية" مبروكة 1958" لحسن ظافر بن موسي، وهناك من يقول ان إنطلاقتها كانت مع بداية الستينات من خلال قصة" أقوي من الحرب 1962، و"حصار الكهوف" لمحمد علي عمر ، "اعترافات إنسان 1961" لمحمد فريد سيالة ، "غروب بلا شروق 1968" لسعد عمر الغفير سالم ، " طربلس 64 " و" دماء تحت النخيل " 1973 لمحمد صالح القمودي ، "أنا والوطن 1974 " لمحمد علي عمر ، إلا أن هذه الأعمال تبقي مجرد بدايات والانطلاقة الفعلية كانت مع بداية السبعينات و الثمانينات من القرن العشرين لتنفجر خلال الألفية الثالثة من خلال أسماء

روائية نذكر منها علي سبيل المثال" إبراهيم الكوني" "خليفة حسين مصطفي " ، "مرضية النعاس " ،" ابراهيم الفقيه "،"فوزية شلابي "، " نادرة العويتي" ،" شريفة القيادي" ، " كوثر الجهمي" ،" عائشة إبراهيم "، "محمد أصفر" ،.

في حين نجد أن الرواية الموريتانية لم يكن لها حضورا يذكر الي غاية الثمانينات من القرن العشرين، ومرجع ذلك لقلة الاهتمام بها والإنتاج الإبداعي في ميدانها ، وأيضا لقلة الدراسات النقدية المشتغلة على الأدب الموريتاني بشكل عام والرواية بشكل خاص. وتعتبر رواية "الأسماء المتغيرة 1981" ثم "القبر المجهول" و"العيون الشاخصة" لأحمد ولد عبد القادر عناوين تأسيسية لمسار الرواية الموريتانية ، وما نلاحظه عن الإنتاج الروائي الموريتاني هو التأخر في البروز والتراكم حيث لا يتجاوز عدد الروايات الصادرة الي حدود الألفية الثالثة حوالي سبع روايات (بوشوشة بن جمعة 2003 ص233)نذكر منها: " زرافي مدينة العجائب " و " بلسم الجرح " لمحمد الأمين شاه، و" القنبلة " لأحمد سالم ولد محمد مختار، و" الحب المستحل و " مدينة الرياح " لموسى ولد بنو " .

والي جانب هذا نذكر الرواية المغاربية المكتوبة باللغة الفرنسية وحضورها المتميز و الفعال في الساحة الأدبية ، فقد كان لها وجودا وامتداد سابق عن الرواية المكتوبة باللغة العربية وخاصة في الجزائر، وقد خص "عبد الكبير الخطيبي "هذا الموضوع بعدة مؤلفات أهمها كتابه Le Roman Maghrébin ، إذ يري "أن الرواية المغاربية المكتوبة باللغة الفرنسية من حيث مواضيعها هي أيضا خضعت لمختلف التقلبات و التغيرات، وخاصة السياسية منها ، يقول :" ففي الأربعينات هيمنت على الرواية- المكتوبة بالفرنسية - الرؤية الاثنوغرافية التي تهتم بالوصف الدقيق للحياة اليومية، وما يتصل بها من العادات والطبائع. كما طغى في الخمسينات موضوع المثاقفة، حيث أصبحت معضلة التقاء ثقافتين عربية وغربية، هي المحور المستقطب لاهتمام الروائيين، بينما ازدهر في الستينات

موضوع "النضال" المستوحى من حرب التحرير الجزائرية. وهذا التحليل الذي كان يربط بين التطور التاريخي وبين المضامين الروائية كان يستدعي تحليلا اجتماعيا "(عبد الكبير الخطيبي 1971 ص34)، وهذا ما يظهر لنا جليا في رواية "ادريس* 1941"وهي عبارة عن رواية من شمال إفريقيا "كما قيل عنها أنداك كتبت بالغة الفرنسية من تأليف على الحمامي* Idris: roma nord-africain. Ali El-Hammami. " وتعد من حيث الموضوع مزيجا من أطروحات سياسية وحقائق تاريخية عن حضارة شمال إفريقيا ذات أبعاد فكرية فلسفية، نالت إعجاب و ثناء السياسيين والمثاقفين العرب، وقد قدمها كل من "محمد بن عبد الكريم الخطابي" و" محمود تيمور "، وفي ذلك كتب "محمد بن عبد الكريم الخطابي "يقول : " كتاب الأخ المجاهد علي الحمامي المغربي - نسبة الي بلاد المغرب - يكشف ولو أنه محرر في شكل رواية عن الكثير من أباطيل سياسة فرنسا الطائشة في المغرب وعسي أن يترجم هذا الكتاب المحرر باللغة الفرنسية الي اللغة العربية حتى يدرك أبناء عمومتنا في الشرق العربي ما هو جار هناك " . (علي الحمامي) وإذا كان" محمد بن عبد الكريم الخطابي" قد نظر الي الرواية من منظوره السياسي، فإن "محمود تيمور" نظر إليها من منظور فني إبداعي يقول: " في تلك القصة تنبسط صحف من التاريخ وتنصقل مرآة للحاضر، وتتجلى أحوال سياسية واجتماعية قائمة، وتترسل روح من الوطنية تثير الأفئدة وتهز المشاعر. فالكتاب بفضل ما حواه من ذلك كله، يعد نموذجا من القصص القومي، جديرا بالتقدير والإعجاب. وأنت تساير "إدريس" بطل هذه القصة ، وهو يروي لك أحداث حياته ، وما تعاقب عليها من أحوال ، فإذا بك وأنت مسترسل معه . تطالع الحياة المغربية في عهدها العتيد ، فترى كيف صنعت سياسة الاستعمار بذلك الوطن المغلوب على أمره ، وتعلم كيف يسام الخسف و العسف في جحيم تلك السياسة الغشوم، وكيف تتوق نفسه الى عيش الحرية والكرامة، فهو يكافح ويجاهد ما وسعه من

الكفاح والجهاد" (علي الحمامي) - محمود تيمور القاهرة، الرسالة ، 29 جويلية 1948- وليس هذا إلا شهادة من أديب و ناقد مصري على المستوي الفني الذي وصلت إليه الكتابة الإبداعية المغاربية حينها ، وهذا الرأي لا يتوقف عند الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية فقط ، و إنما يتجاوز ذلك ليعبر عن كل الرواية المغاربية بغض النظر عن اللغة التي كتب بها ، هذا من جهة ومن جهة أخري فالرواية المغاربية ظهرت و تجسدت و أغلب بلدانها مستعمرة أو تحت الحماية، فكانت الرواية بذلك شكل من أشكال المقاومة الإبداعية وردا على الاستعمار بكل أشكاله، ونموذجا للحفاظ علي الهوية المغاربية والعربية لهذه البلدان بالعودة إلى التراث بكل أشكاله وتجسيده إبداعيا من خلال نصوص روائية ذات أصالة مغاربية .

وعموما فالخطاب الروائي المغاربي من تأسيسه الي تجسديه عرف محطات عديدة تصدرتها أسماء بارزة في الإنتاج الروائي، فطبقا لسلسلة بيبليوغرافيا الرواية المغاربية التي أنجزها "شريف بموسى عبد القادر" يمكن ملاحظة الازدهار الكمي للإنتاج الروائي المغاربي من خلال هذه الأرقام التقريبية **(شريف بموسي عبد القادر 2017/2015)**

-570 رواية جزائرية من 1947 إلى غاية 2015.

- 981 رواية مغربية بدءا من سنة 1942 إلى غاية سنة 2015.

- 666 رواية تونسية بدءا من سنة 1906 إلى غاية سنة 2015

-195 رواية ليبية بدءا من سنة 1937 إلى غاية سنة 2015.

-35 رواية موريتانية بدءا من سنة 1981 إلى غاية سنة 2015.

وعلى هذا الأساس فالسجل الروائي المغاربي في عمومه – الرواية المكتوبة باللغة العربية -يحتوي على أكثر من 2447 عنوانا إبداعيا هو حصيلة ممتدة من 1906 الي 2015 - طبقا لبيبليوغرافيا الرواية المغاربية التي أشرنا إليها سابقا - ،

وهي إحصائيات تقديرية وليست دقيقة، إلا أنّها تطلعنا على مسار الإنتاج الروائي المغاربي خلال السنوات الأخيرة والذي عرف تزايدا ملحوظا وملفتا للانتباه، باعتراف أحد روادها الاوائل و هو الروائي "واسيني الأعرج" من خلال ندوة له بمعرض الجزائر الدولي للكتاب في دورته الـ 23 -سيلا 2018-قائلا " (واسيني الاعرج 2018) إنها المرة الأولى في الجزائر التي نرى فيها إصدار قرابة 200 رواية أو أكثر خلال سنة واحدة، وهو دليل على وجود حركة ثقافية وروائية كبيرة ".

وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على مدى استجابة الرواية بشكل عام لتحولات والتغيرات التي شهدتها الساحة الأدبية للبلدان المغاربية خلال النصف الأول من القرن العشرين، ومرجعها الي كم أشرنا سابقا الي" حصول بلدان المغرب العربي على الاستقلال وما تبعه من تحولات وتغيرات وسمتها في الأغلب الأزمة وطبعها الصراع. قد طرح على الأدب عامة، والرواية خاصة قضايا جديدة تتصل بمستقبل الشعوب المغاربية في مختلف مجالات الحياة. فكان جنس الرواية دون غيره من أجناس الإبداع التقليدية، كالشعر، والمقالة والخاطرة، هو الشكل الفني القادر على استيعاب هذه الإشكاليات التي أفرزها الاستقلال وصياغتها جمالياً " (المركز الثقافي نواكشوط 2015) ، وفي سياق النشأة والتطور يضيف" حبيب الدائم ": " ان الرواية المغاربية قطعت أشواطا هامة ما بين سنة1942 إلى سنة 1980، حيث كان مشغلها التخيلي وتوظيفها الفني مرتكزا على السيرة الذاتية والرواية الاجتماعية والرواية السياسية وتميزت بالصدق التاريخي والاجتماعي، وتنزع إلى تمجيد الثورة والاحتفال بها " (المركز الثقافي نواكشوط 2015)

وطبقا للدراسات النقدية العديدة التي تناولت موضوع نشأه الرواية المغاربية فقد أجمعت أغلبها علي أن ملامح هذا النمط التجريبي في الكتابة الروائية - في المغرب العربي- أخد يتشكل مع منتصف السبعينات وتبلور أكثر منذ مطلع الثمانينات من القرن العشرين مع جيل جديد من الكتاب كان يسكنه

هاجس البحث عن أشكال فنية جديدة في الممارسة الروائية تكون قادرة على التعبير عن إشكاليات المرحلة التاريخية التي كانت تمر بها بلدان المغرب العربي. وتحقق-في الآن ذاته- تجاوز المرحلة التقليدية التي يمثّلها جيل الرواد" (بوشوشة بن جمعة 1999ص369)، هذا من جهة ومن جهة أخري فالرواية المغاربية لم تكن خريجة المدرسة الكلاسيكية التي تشبعت بها نظيرتها في المشرق وقبلها في الغرب، فقد قفز بها الروائيين المغاربة قفزة نوعية مباشرة إلى مرحلة التجريب والحداثة دون أن تكون مهيأة لذلك التحول أن صح التعبير كما يري بعض النقاد، وذلك رغبة في إدراك تيار الحداثة الغربية، يقول " محمد أمنصور" مؤكدا ذلك : "لعلها المفارقة الأولى التي تجعل من الذاكرة المفترضة لهذه الرواية مفقودة أو غيرية، أو لَسنَا نتّخذ من معايير أفق انتظار الرواية الغربية أو المشرقية مظلّة ابوية لولادة كتابتنا الروائية؟ فمجمل التراكم الحاصل عندنا منذ نصف قرن من الكتابة، في إطار قواعد الجنس الروائي... لا يرقى إلى مستوى مقولة الذاكرة أو الماضي أو التراث الروائي"(محمد أمنصور 1999 ص48) ، وتعد الثمانينيات القرن العشرين وفق ما يراه أغلب النقاد المغاربة نقطة انعطاف في مسار الإبداع الروائي المغاربي شكلا ومضمونا، تجلي ذلك في نزوع الرواية إلى البحث والتجريب بغية تجاوز السائد من الخطابات بدل استنساخها، و التطلع إلى اكتساب ذاتيتها ، وإنتاج معرفة أكثر إدراكاً لتحولات الذات، ولواقع تلك التحولات وعوائقها، في مجتمعات مغاربية لها خصوصيتها و تعيش تحولات متأزمة وتغيرات فكرية و ثقافية وسياسية بالدرجة الأولي وخاصة تلك الأزمات التي كانت تعصف بين الحين و الأخر بالعلاقات بين البلدان المغاربية ، و انعكست علي العديد من القضايا التاريخية كمشروع " إعادة قراءة و كتابة التاريخ " لأن تاريخنا لم نكتبه نحن بل كتب بلسان الأخر ولغته ، هذا من جهة ومن جهة أخرى تاريخنا و خاصة التاريخ الثوري يغلب عليه الطابع الشفهي ولا ننسي أن البلدان المغاربية منها ما تعرض

للحماية الاستعمارية و منها ما تعرض للاستعمار الذي حاول طمس تاريخ هذه البلدان بمختلف الأساليب و الطرق و الأشكال وذلك للقضاء علي مقوماتها والاستيلاء علي حضارتها ، فكان لابد من إعادة إنتاج متخيّل تاريخي بعيد عن النصية الحرفية للوقائع، وإعادة صياغة المسكوت عنه، وفتح زوايا أخرى تبعث في التاريخ محاور أعمق من وصف وقائعه وإعادة إنتاجه وفق تصور فني يضيء مناطق الظل من هذا التاريخ المنثور فينا بصور مختلفة بهدف التصحيح أو التمجيد الحضاري له ، أو استثمار الذاكرة التراثية في تشكيل منظور ثقافي يحافظ على استمرار الهوية ، و تحيينها وتحديثها وفق مقتضى المعاصرة ، بأقلام إبداعية واعية لأهمية الكتابة، اتجهت صوب المغامرة الروائية بما تملكه من تقنيات وآليات حداثية، تتيح لها تجاوز السائد والمألوف أمثال: البشير خريف ، صلاح الدين بوجاه، فرج الحوار ، هشام القروي، إبراهيم الدرغوثي، حسن بن عثمان في تونس، وواسيني الأعرج، أسيا جبار ، رشيد بوجدرة، جيلالي خلاص، أحلام مستغانمي، ياسمنه خضرة ،الطاهر جاووت، محمد ساري، رابح بلعمري إبراهيم سعدي في الجزائر، ومحمد عز الدين التازي، احمد المديني، الميلودي شغموم، محمد برادة، بنسالم حميش في المغرب ومن ليبيا ابراهيم الكوني ، احمد الفيتوري، مريم سلامة ،خليفة حسين مصطفي ، سليمان الباروني، وأيضا من موريتانيا موسي ولد بنو أحمد ولد عبد القادر، اشبيه الشيخ ماء العينين ،محمد ولد محمد سالم ، محمد ولد أمين وغيرهم ، وذلك في سياق توظيف هؤلاء الروائيين المغاربة لآلية التدارك التي مكنتهم من تحقيق تحول نوعي سريع الإيقاع في تفاعله مع ما حققته الرواية المشرقية والعالمية من إنتاج نوعي وكمي، حيث "اتجهت الرواية -المغربية – في أبرز نصوصها نحو الابتعاد الكلي عن المعيارية وعن افتراض وجود ماهية مسبقة وقارة لجنس الرواية . وغدت شعرية الرواية وجماليتها تنبعان من تضافر عدة عناصر ومكونات من أبرزها:

- تذويب الحدود بين الأجناس الأدبية ولا أدبية للإفادة من طاقات التعبير وإمكاناته في مختلف الأشكال والخطابات، وهو الأمر الذي مكن من توسيع دائرة المرجعية التي هي منطلق التخييل وتعيد الرواية بنينتها وتأويلها جماليا.

- إعادة التوظيف الإبداعي للموروث السردي في محاولة لتوليد شكل روائي يعيد الاعتبار للذاكرة الجمعية أو لما هو منسي أو مقصي على مستوى الذاكرة الرسمية.

- استدعاء المكونات السير ذاتية في محاولة لإعادة اكتشاف الأنا وسبر العلاقات الغامضة للحياة الداخلية ولقلق الوعي الإبداعي وتوتراته "(عبد الحميد عقار 2000ص37)

واللافت للنظر أن الرواية المغاربية لها خصوصيتها الفنية التي تميزها وهي اليوم تجاوزت مقولة الأجناس واتخذت نسقا تعبيريا مرناً من حيث تنوع قوالبها الفنية وتباين مستويتها الحكائية، وتعدد بنيتها التفاعلية ونمطها الحواري المنفتح على شتي الأنساق والدلالات وتمردها على قواعد وقوانين الكتابة السردية التقليدية، المتحررة من قيود الانغلاق والجمود الذي سيطر على تطورها في مراحلها الاولي، وفي نفس الوقت أهلها لأن تصل الي مستوي العالمية بجدارة واستحقاق.

. قائمة المراجع:

1- أحمد المدني، تحولات النوع في الرواية العربية بين مغرب ومشرق، دار الأمان، الرباط، ط1 /2012.

2- محمد مريني مقال "الرواية المغربية للخطيبي" مجلة الكلمة ع 30/يونيو 2009 الرابط http://www.alkalimah.net/

3- واسيني الأعرج، مجموع النصوص الغائبة، أنطولوجيا الروائية الجزائرية التأسيسية، التأصيل الروائي، الفضاء الحر، الجزائر2007

4- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986

5- واسيني الاعرج، أسئلة الرواية المغاربية بين سلطان المركز وانشغالات المحيط، الدرس الافتتاحي لطلبة الماجستير دفعة 2005/2004

6- بوشوشة بن جمعة، التجريب و ارتحالات السرد الروائي المغاربي، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، ط1/ 2003

7- بوشوشة بن جمعة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر، تونس 1999

8- بوشوشة بن جمعة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس ط1/ 2005

9- سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود منشورات الاختلاف، بيروت ط1/2012.

10- أحمد رضا حوحو، غادة أم القري المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط1988/2

11- مخلوف عامر، الرواية والتحولات في الجزائر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2000

12- سعيد فرحات: اتجاهات فكرية في الأدب التونسي الحديث، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، ط، 1981

13- مجموعة من الباحثين، تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة 1993.

14- بشير الهاشمي، خلفيات التكوين القصصي في ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا

15 -عبد الكبير الخطيبي الرواية المغربية، ترجمة محمد برادة، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط،1971.

16 -على الحمامي، إدريس، ترجمة محمد الناصر النفزاوي رابط التحميل:
http://www.tawalt.com/wp-content/books/Idris_riwaya.pdf

**-على الحمامي"1902-1949"ولد في تيارت ، في 1920 سافر مع عائلته لأداء الحج ثم استقر مع عائلته في الإسكندرية بعد عودتهم من الحج شارك مع الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي في ثور الريف المغربي"1925-1926" ، وبعد عدة محطات من فرنسا الي الاتحاد السوفياتي الي سويسرا و ألمانيا و السعودية إستقر بالعراق لتدريس التاريخ الإسلامي "1933-1947" وهناك ألف رائعته التاريخية الفلسفية "إدريس" مابين" 1941-1942" ، ثم عاد الي القاهرة 1947 ، حيث تم حينها تأسيس مكتب المغرب العربي برأسة عبد الكريم الخطابي وكان علي الحمامي يمثل الجزائر ، وفي ديسمبر 1949 دهب الحمامي في مهمة رسمية الي باكيستان بأمر من مكتب المغرب العربي لتمثيل الجزائر في المؤتمر الاقتصادي الإسلامي المنعقد بكراتشي ، لكنه توفي اتناء العودة رقفة مندوب تونس الحبيب ثامر و مندوب المغرب محمد بن عبود ، اثر انفجار الطائرة التي كانت تقلهم و نقل جتمانه الي الجزائر في جانفي 1950 . انظر:

BELKHODJA Amar ALI EL HAMMAMI ET LA MONTEE - DU NATIONALISME ALGERIEN : - Ed Dahleb - Alger 1991.

17-شريف بموسى عبد القادر، الفهرس البيبليوغرافي للرواية الجزائرية 1947 - 2015 ج1 ،1942 -2015 ج2، 1906 – 2015 ج3 ،سلسلة بيبليوغرافيا الرواية المغاربية دار إي - كتب للنشر E-kutub Ltb لندن ط1 /أكتوبر2017.

18-ندوة واسيني الأعرج نظمها إبراهيم صحراوي في إطار ندوات معرض الجزائر الدولي للكتاب في دورته الـ 23 سيلا، 2018

19-ندوة بالمركز الثقافي المغربي بنواكشوط بعنوان" الرواية المغاربية. قراءة في الاتجاهات" الأربعاء 09 ديسمبر 2015، 18:00س

20-محمد أمنصور، خرائط التجريب الروائي، مطبعة أنفوبرات، فاس، المغرب 1999، ط1.

21-عبد الحميد عقار، واقع التجربة الروائية بالمغرب، ضمن ملتقى الرواية المصرية المغربية الثاني، المجلس الأعلى للثقافة 2000.